وهي رواية نشاهد فيها محاولة الكاتبة استنبات وجود فاعل للمرأة، حيث يكون سقوط غرناطة موعداً لزمن من الاضطهاد والاستعباد يمارسه الاسبان المتسلطون على العرب المهزومين، وفي هذا الجو الاضطهادي تسقط الفروق التقليدية بين الرجل والمرأة، إذ كلاهما صار مضطهداً ومسحوقاً.

وتحت هذا الحس الشامل تتمكن المرأة من إبراز طاقاتها المعنوية في المكابدة والمصابرة والمقاومة. وجاءت (سليمة)[24] رمزاً للمعنى المؤنث، حيث تعلمت القراءة والكتابة، وأقامت علاقة مع الكتب والمعرفة فاحتفلت بالكتاب وانتمت إليه، وعملت في منزلها ملجأ للكتاب ووجدت الكتب عند سليمة مأمناً مؤقتاً يحميها من سطوة الغازي الأسباني الظالم، الذي أشهر ناره على الكتب مثلما أشهر دينه الخاص ولباسه الخاص ومسلكه الخاص على البشر. وحارب الحرف العربي مثلما حارب اللباس العربي والمشية العربية. وكان دور النساء في هذا الجو دوراً جوهرياً يتساوى مع أدوار الرجال، خاصة ما نراه من (سليمة) التي جعلت الثقافة والعلم سلاحاً للمقاومة و(مريمة) التي تعلمت القراءة من سليمة، وكان لها دور في مخاتلة الغازي ومقاومته.

لقد قامت الكاتبة بنبش (ذاكرة المرأة) من تحت ركام التاريخ وآثار الطمس والإلغاء الحضاري والنفسي الذي مارسه الأسبان (الرجال) بسلطويتهم وتسلطهم على أهل الأرض وعلى ثقافة أمة بأسرها، مما أدى بهم أخيراً إلى إحراق (سليمة) وكتبها بتهمة أنها امرأة تكتب وترسم، وتنتمي للكتب وترفض البراءة من كتبها.

تلك ذاكرة جرى نبشها تعطي المرأة موقعاً في التاريخ البعيد،

---

(24) رضوى عاشور: غرناطة 307 دار الهلال القاهرة 1994.